Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتكـونت من سـوادِ أبى الأسـو د شخصـا يَكنى أبـا السـوداء
لأبَى اللّهُ أن يَعـدَّك أهـلُ العلـ ـمِ إلا من جملة الأغبيـاء[٢٨]

فالذى يقرأ هذه الأبيات لا يخطر له أنه يزوق ويزخرف ، ولا يشك فى أنه يعبث ويهزل . وغنى عن القول إننا لم نقصد بما تقدم أن ابن الرومى كان على سذاجة الجاهليين والمخضرمين فى صوغ الشعر وفهم فنون البلاغة ، فإن هؤلاء كانوا يأتون بالقول البليغ ولا يعرفون علته ، وكانوا يطربون للشعر ولا يتوخون مذاهب نقده ، وليس فى وسع شاعر عباسى أن يكون كذلك ، بعد ما أولع القوم بالبحث فى جميع العلل والأسباب ، واصطلحوا فى البلاغة على الحدود والأسماء ، وخرجوا من حالة « العفو » إلى حالة « الوعى » ، ويقول العقاد فى هذا الصدد : « وابن الرومى أولى ألا يكون على تلك السذاجة الجاهلية أو المخضرمة ، وألا يسهو عن محاسن كلامه وعيوبه ، وهو الذى لم يسه قط عن شىء فيه ، ولم يكن له من هم إلا أن يحصى خطرات ذهنه وخلجات فؤاده ، فهو شاعر ناقد وبليغ ، له مذهب فى البلاغة ، ورأى فى المعانى ، وحجة فى الاختيار »[٢٩] . وسيتبين لنا مقدار ذلك بوضوح فيما نقف عنده من محسّناته فيما بعد .

كذلك كان يحكى أبناء عصره فى تصعيب اللفظ وتعمد الغريب حين كان ينظم فى الطرد ووصف الأسد وما إليه ؛ لأن الشعراء العباسيين جعلوا الطرد خاصة معرضاً للبداوة الشعرية والفحولة العربية .

أما لفظه من حيث هو صحيح وخطأ ، فلفظ عالم بالنحو مطلع على شواهد العربية ولا سيما القرآن . ومن هنا لم يذكر كلمة « أشياء » إلا ممنوعة من الصرف ، وهى مصروفة فى قول القياسيين من النحاة ؛ لأنها جمع شىء ، فهى أفعال جمع فعل وليست فعلاء مؤنث أفعل التى تمنع من الصرف . فمن المواضع التى وردت فيها الكلمة قوله :

فِيكَ أشياءُ لـو وُجِدْنَ قـديماً نَـظَمتْهَا المُلُوكُ فى التيجَـانِ[٣٠]

---

(٢٨) المصدر نفسه ١ : ١٠٥ ، ١٠٦ .
(٢٩) ابن الرومى حياته من شعره ، ص ٢٧٨ .
(٣٠) ديوان ابن الرومى ٦ : ٢٥٠٤ .